﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الشعراء: 123 - 127]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَهُما:

إتباعُ قصَّةِ قوم نوحٍ الأكثر تكذيبًا قصَّةَ قومِ هود وهم الأشدُّ والأَعْتى

لمّا قصَّ اللّه تعالى على نبيِّه محمد ﷺ نبأ نوح عليه السلام الذي كان نبَؤُهُ مع قومِهِ أعظمَ من أخبار غيره، وظلَّ يدعوهم ألفَ سنةٍ إلّا خمسين عامًا، ومع ذلك كذَّبه قومه[1]، فبعد أن ذَكَرَ أوَّلَ الأقوام وأطولهم عمرًا، وهم قوم نوح، وكيف أغرقوا؛ ناسب أن يقصَّ هُنا نبأَ هودٍ عليه السلام مع قومه (عاد)، وهم القومُ الأعتى والأقوى، والأكثر إنعامًا على الأرض، وتفنُّنًا في ترويض الطَّبيعة من حولهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَادٌ﴾: أُمَّةٌ عَظيمَةٌ مِنَ العَرَبِ العارِبَةِ البائِدَةِ، وكانوا عَشْرَ قَبائِلَ، وقيلَ: ثَلاثَ عَشْرَةَ قَبيلَةً، وهُم أَبْناءُ عادِ بْنِ عوصٍ، وعوصٌ هوَ ابْنُ إِرَمَ بْنِ سامِ بْنِ نوحٍ، كَذا اصْطَلَحَ المُؤَرِّخونَ، وكانت مَساكنهم بالأحقاف باليمن[2].

2) ﴿أَخُوهُمْ﴾: هو المُشارِكُ الآخرَ في الولادَةِ مِنَ الطَّرفيْنِ، أو مِنْ أَحدِهما أَو مِنَ الرَّضاعِ، ويُستَعارُ في كلِّ مُشارِكٍ لغيره في القَبيلة، أو في الدّين، أو في صَنعةٍ، أو في مُعاملةٍ أو في مَودَّةٍ، وفي غَير ذَلك من المناسبات، والأخوَّةُ إذا كانت في غير الولادةِ؛ كانت للمشكلة والاجتماع في الفعل، نحو: هذا الثوبُ أخُو هذا، قولُه تعالى:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 520.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك: 1/ 207، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8 - ب/ 200، وابن منظور، لسان العرب: (عود).

﴿كَانُوٓاْ إِخۡوَانَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الإسراء: 27]، أي: مُشاكلوهم[1]، وقد يكونُ الأَخُ: الصَّديقَ والصّاحِبَ، ومنه قَوْلُهم: ورُبَّ أَخٍ لم تَلِدْهُ أُمُّك[2]، والمُراد بالأخ في الآية: المشارِكُ في نَسَبِ القَبيلَةِ.

3) ﴿أَجۡرٍ﴾: (أجر) أَصْلانِ يُمكِنُ الجَمعُ بَيْنَهُما بِالمَعْنَى، فالأَوَّلُ الكِراءُ على العَمَلِ، والثَّاني جَبْرُ العَظْمِ الكَسيرِ[3]، ومنه سُمّيَ الثَّوابُ أَجْرًا؛ لأنَّ اللّهَ يَجْزي العَبْدَ عليه، والأَجْرُ: العِوَضُ، مَصْدَرُ أَجَرَهُ وآجَرَهُ يَأْجُرُهُ ويَأْجِرُهُ، والأجير: فعيلٌ بمعنى فاعل أو مُفاعل، والاستئجارُ: طلبُ الشَّيءِ بالأجرة[4]، والمقصودُ بالأجر في الآية: العِوَضُ والجَزاءُ على العَمَلِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أسلوبُ الدّاعيةِ إلى اللهِ يجب أن يكون لطيفًا دون تنفيرٍ

يحكي اللّه سبحانه وتعالى جانبًا مِن قصةِ هودٍ عليه السلام مع قومِه، فيقولُ: كذَّبَتْ قبيلةُ عادٍ رُسلَ اللّهِ بتكذيبِهم رَسولَهم هودًا - فتَكذيبُهم له تكذيبٌ لِغَيرِه - حينَ قال لهم هودٌ، وهو أخوهم في النَّسَبِ: ألا تتَّقون اللّهَ، وتحذَرون عِقابَه، فتوحِّدوه، وتَتركوا عبادةَ الأصنامِ؟ إنّي لكم رَسولٌ مِن اللّهِ، أمينٌ على وحيِه الذي بعثَني به إليكم، فأبَلِّغُكم رسالتَهُ بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ، فاتَّقوا سَخَطَ اللّهِ وعِقابَهُ، وأطيعوني، وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم ثوابًا ولا جزاءً؛ ما أرجو ثَوابي إلّا مِن اللّه الخالِقِ الرّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ دونَ غَيرِه[6].

(1) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (أخ).
(2) الزبيدي، تاج العروس: (أخو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(4) الراغب، المفردات: (أجر).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8 - أ/ 28.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 606، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 119، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 151.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ فصلِ جملة ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ عمّا سبقها:

قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جملةٌ مُستأنَفة استئنافَ تعدادٍ لأخبار التَّسلية للرَّسول ﷺ، وتكرير الموعظة للمُكذِّبين بعد جملة: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشُّعراء: 105][1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿كَذَّبَتْ﴾ مادَّةً وصيغةً:

التَّأنيثُ باعتبار القبيلة

في قوله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ اقترنَ الفعل ﴿كَذَّبَتْ﴾ بتاء التَّأنيث؛ لأنَّ اسمَ ﴿عَادٌ﴾ علمٌ على أمَّةٍ، فهو مُؤَوَّل بمعنى الأم[2]، فقد أسند كَذَّبَتْ إلى ﴿عَادٌ﴾، وفيه علامة التَّأنيث، من حيث إنَّها في معنى الأمَّة والجماعة على نسقِ قوم نوح؛ إذ سبقت قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ إذ أنَّثه باعتبار القبيلة[3].

سِرُّ تخصيصِ التَّعبيرِ بلفظ ﴿عَادٌ﴾:

إطلاقُ اسمِ (عاد) على قوم هود؛ لأنَّه في الأصل اسمُ أبيهم

خصَّ السّياقُ القرآنيُّ قومَ عادٍ بالذِّكر بقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ لجملة أمورٍ، الأوَّلُ: أنَّه في الأصل اسم أبيهم[4]، والثّاني: أنَّهم القومُ الذين أُرسل إليهم هودٌ عليه السلام خاصَّةً، قال: ﴿*وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]، والثّالث: لعظيم شأنهم بين الأمم، ولِما كانوا يملكونه من القدرات والمهارات الَّتي جعلَتْهم يحكمون الأرض في ذلك الزَّمان، ودلَّ على ذلك طلبهم الخلودَ، والرّابع: ما جاءهم من الآيات البيِّنات التي يُؤمن بها المُنصِفون وأهل الاستقامة والقلوب السَّليمة.

إيثارُ لفظ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

تكذيبُ ما جاء من عند الله من التَّشريعات والأوامر والنَّواهي

أخبر البيانُ الحكيم عن قوم هودٍ أنَّهم كذَّبوا المرسلين؛ لأنَّهم وإن كذَّبوا هودًا فحسب فإنَّ تكذيبَهُ في المعنى يتضمَّن تكذيب غيره؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 164.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 164.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 145.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 145.

لأنَّ طريقةَ معرفةِ الرُّسل لا تختلف، فمن حيثُ المعنى حكى عنهم أنَّهم كذَّبوا المرسلين[1]، بمعنى: أنَّهم كذَّبوا ما جاء من عند الله من التَّشريعات والأوامر والنَّواهي، فهم قد كذَّبوا المبدأ الأوَّل، الذي هو التَّصديقُ بالوحي من السَّماء، ثمَّ إنَّهم قد تحمَّلوا آثام جميع الأمم بعدهم ممَّن كذَّب بالرِّسالة السَّماويَّة؛ لأنَّهم قدَّموا النموذج السَّيِّئ بعد قوم نوح في تاريخ الرِّسالات كُفرًا وإعراضًا، ولو أنَّهم آمنوا؛ لوصلت أخبارهم إلى النّاس من بعدهم، ولأصبحوا نموذجًا يُحتذى به في الإيمان والتَّصديق، باعتبار أنَّهم آمنوا مع ما كان عندهم من القوَّة والمنعة، ولعلَّ ما يُذكر في هذا الصَّدد ما جاء في قصَّة قوم يونس؛ إذ حاجَّ اللّهُ بهم الأقوامَ كلَّها، فقال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: 98].

سِرُّ التَّعبيرِ بالجمعِ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بدلَ المُفرَدِ:

كـذَّبـتْ عـادٌ رسـالـة هـودٍ ورسالة نوحٍ من قبله

قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ شبيهٌ بنظيره في قصَّة نوح ﷺ سواء، مع اختلاف أنَّ عادًا كذَّبوا رسولهم هودًا ﷺ، وكذَّبوا كذلك رسالة نوح؛ لأنَّ هودًا وعظهم بمصير قوم نوح في آية: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف: 69].

بلاغةُ فصلِ جملةِ ﴿إِذْ قَالَ﴾:

بيانُ ما جاء في خطاب هود ﷺ لقومِهِ

جملة: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾، فُصِلَت عن قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ إذ إنَّ الجملة الثّانية جاءت مُبيِّنة مُفصِّلة للجملة الأولى موضِّحة لها، فتكون الثّانية بمنزلة عطف بيان من الجملة الأولى، هذا وأنَّ الجملتين خبريّتان، فتكون العلاقة بينهما هي كمال الاتِّصال، ممّا يُقرِّر الفصل بينهما، فبيَّنت الآية أنَّ هودًا ﷺ دعاهم إلى تقوى الله والرُّجوع عن التَّكذيب، والإصرار على الكفر.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 520.

معنى ﴿إِذْ﴾، وإيثار التَّعبير بفعل (القول) مادَّةً وصيغةً:

الاهتمامُ الكبير بما قاله هود عليه السلام

معلوم أنَّ ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ للمضيِّ في أصل وضعها، وتفيد في قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ معنى التَّعليل، فجاء بعدها بيانُ الجملة السّابقة ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، فعلَّل ذلك الخبرَ بأنَّ الله قد أرسل إليهم رسولًا منهم، فاستكبروا، وكذَّبوه.

وتُستخدمُ أفعالُ القول في سياق ذِكْر أنَّ فلانًا قال ما سيأتي؛ لفائدة ربط السَّرد بالحوار، واستعمال صيغةِ الماضي؛ لارتباطِه بفعل ماضٍ سابقٍ، هو قول قومهِ، والتَّصريح بالقول دليلٌ على العناية بمضمون ذلك القولِ، فهو كالنَّصِّ المنقول تمامًا؛ إذ يُعلم أنَّ هودًا عليه السلام، قال هذا القول كما ورد في النَّصِّ.

غرضُ تقديمِ الجار والمجرور ﴿لَهُمْ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرور: ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿أَخُوهُمْ﴾، في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ لفائدة التَّخصيص، أي: قصرُ قول أخيهم عليهم؛ لأنَّهم المَعنيّون بهذه الرِّسالة.

سِرُّ الإضافةِ في ﴿أَخُوهُمْ﴾، وإيثار لفظ الأُخوَّة:

فـائـدةُ إطـلاق الأخـوَّةِ تشويقٌ للإيمان

آثرَ السّياقُ القرآنيُّ استعمالَ كلمةِ ﴿أَخُوهُمْ﴾ بدلًا من قوله: (نبيُّهم) أو (رسولُهم)؛ لأنَّه كان منهم، من ذلك قول العرب: (يا أخا بني تميم) يريدون: يا واحدًا منهم[1]، ثمَّ إنَّ فائدتها - مع أنَّه رسول الله، وهم في العموم غيرُ مؤمنين بالرِّسالة - هو ترغيبُهم بالإيمان، وتشويقهم إلى كسب رضاء الله سبحانه، وفائدةٌ أخرى هي أنَّ كلَّ نبيٍّ يأتي من أصل قومه، فيكون عالمًا بطبائع مجتمعهم، قادرًا على دعوتهم بما يُناسبهم، ويكون ذلك حُجَّةً عليهم أنَّ الذي أُرسل إليهم هو قريبُهم أو واحدٌ منهم، ولو كان غريبًا عنهم؛ لأشكلت عليه دعوتُهم والتَّوفيق في إنذارِهم.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 520.

ومسألة أخرى: هي أنَّ إرسال نبيٍّ منهم هو بمنزلة شهادة من عندهم: أنَّ هذا الرَّجلَ هو على أعلى درجاتِ الأمانة والصِّدق والأخلاق؛ إذ لولا ذلك؛ لأنكروا عليه رسالتَهُ لهوانه في مجتمعه.

معنى ﴿أَلَا﴾ ودلالتها في ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾:

همزة ﴿أَلَا﴾ في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ للاستفهام، وإن احتملت أن تكون للتَّحضيض، ودخول الهمزة على (لا) نقلتها من النَّفي إلى الإثبات، وفي معناها إنكارُ هودٍ ﷺ فجورَهم وترْكَهم تقوى الله.

تـكـرارُ أسـلـوبِ الدَّعوة عند هودٍ ﷺ

دلالةُ التَّعبيرِ بالتَّقوى مادَّةً وصيغةً:

قُدِّم قولُه تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ على جميع كلام هود ﷺ، ودلَّ الفعل المُضارع ﴿تَتَّقُونَ﴾ على الحال والاستقبال، فدعاهم إلى تقوى الله التي هي حصيلةُ الإيمان الصّادق بالله تعالى، وإنَّما قدَّم الأمر بتقوى الله تعالى على الأمر بطاعته؛ لأنَّ تقوى الله علَّةٌ لطاعته، فقدَّم العلَّةَ على المعلول[1].

الـتَّـقـوى هي حصيلة الإيمان الـصـادق بالله تعالى

غرضُ حذفِ مُتعلَّق الفعل ﴿تَتَّقُونَ﴾:

في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ حُذِفَ مُتعلَّقُ فعل التَّقوى لما سبق في دعوته إيّاهم لعبادة الله وحده من تَكرار الإنذار والوعيد من عذاب الله وسخطه، فإنَّما التَّقوى تكون من الله سبحانه؛ إذ عُلِمَ ذلك عندهم بالضَّرورة.

تقوى اللهِ هي مطلبُ المُرسلين

بلاغةُ الفصلِ والتوكيد في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

قولُ هود ﷺ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، هو جملة خبريَّة فُصِلت عن الجملة الإنشائيَّة في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، وسبب الفصل كمالُ الانقطاع بينهما؛ وذلك لاختلاف الجُملتَيْن خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنًى، أمّا سرُّ التَّوكيد في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾؛ فلأنَّ المُخاطَبين في مقام الشّاكِّ بالرِّسالة، فأُكِّد بـ (إنَّ).

الـرِّسـالـةُ هي مـقـتـضى طلب تـقـوى الـلـه سبحانه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 521.

غرضُ تقديمِ ﴿لَكُمْ﴾ على خبر إنَّ ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾:

أهـمُّ وصـفٍ يـوصـف بـه الأنـبـياءُ أنَّـهـم (الأمناء)

أفاد تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ التَّخصيص، فقصر إرسالَ الله له عليهم؛ اهتمامًا بشأنهم، وطلبًا لإيمانهم وميل قلوبهم إلى ذلك، وهو توكيدٌ آخرُ يدلُّ على ما علمه الرَّسولُ من حالِ إنكار قومِهِ لرسالتِهِ.

سِرُّ تقييدِ ﴿رَسُولٌ﴾ بوصف ﴿أَمِينٌ﴾:

الأمـانـة أهـمُّ صـفـات الـرُّسـلِ عليهم السلام

في قوله: ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ذُكِرَ أهمُّ وصفٍ يُعرف به الأنبياء في أقوامهم، فرسولُ الله ﷺ كان يُعرف في قومه بالصّادق الأمين، وهي صفة الدُّعاةِ كذلك إلى دين الله من بعد الرُّسل، فإنْ لم يكن أمينًا في إيصال الرِّسالة؛ فحتمًا سيطرأُ عليها التَّبديل والتَّحريف، وإيصالُ الرِّسالات السَّماويَّة من أخطر الأمانات وأعظمها.

دلالةُ العطفِ بالفاء في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾:

التَّفريعُ بالفاء في قوله (فاتَّقوا اللهَ)

قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ الفاء للتَّفريع[1]، وفائدة التَّفريع عمومًا أنْ يَقصِدَ المُتكلِّمُ وصْفًا ما، ثمَّ يُفرِّعَ منه وصْفًا آخَرَ يَتعلَّقُ بالمَوْصوفِ، يَزيدُه تَأكيدًا؛ ففرَّع هُنا على ذِكْر الرِّسالة والأمانة تقوى الله وطاعته.

سرُّ تكرار الأمر بالتَّقوى:

تقوى الله في كلِّ أمور الحياة

كَرَّر هودٌ الأمر بالتَّقوى ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لأنَّه في الأول أراد: ألا تتَّقون مخالفتي، وأنا رسول الله، وفي الثّاني: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ مخالفتي، ولستُ آخذًا منكم أجرًا، فهو في المعنى مختلفٌ، ولا تكرار فيه، وقد يقول الرَّجُل لغيره: ألا تتَّقي الله في عقوقي، وقد ربَّيتك صغيرًا، ألا تتَّقي الله في عقوقي، وقد علَّمتك كبيرًا[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 165.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 520 - 521.

بلاغةُ عطف الطّاعة على التَّقوى:

في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ عُطفت الطاعة على التَّقوى هُنا؛ لأنَّ تقوى الله تأتي مع الإيمان به سبحانه، وهذا يقتضي تباعًا طاعةَ الرَّسول؛ ليُتبع الإيمان وتقوى الله بالعمل الذي شرَّعَهُ اللهُ للمؤمنين.

من ثمار التَّقوى طاعةُ الرَّسول والعمل بالرِّسالة

بلاغةُ العطفِ في قوله: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾:

جملة النَّفي الأولى ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ معطوفةٌ على جملة مقول القول: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، والواو حرفُ عطفٍ للجمع، فائدتُهُ بيانُ أنَّ نبيَّ الله هود عليه السلام بعد أن أمرهم بتقوى الله وطاعته، وهي بمجموعها نتيجةً للإيمان الصّادق بالله تعالى، فإنَّه ذكَّرهم هُنا بانتفاء أيِّ فائدة ماديَّة يمكن أن يحقِّقها رسول الله من دعوته هذه، فهو لا يسألهم على إيمانهم أجرًا.

الأنبياءُ يبذلون البلاغَ حقًّا لله دون أجرٍ تجرُّدًا لله وحدَهُ

معنى (ما) ودلالتها في ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾:

(ما) في قوله: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ لنفي الاستقبال، أي: إنَّني لن أسألكم على دعوتي لكم للإيمان أجرًا، فنفى سؤالَه أجرًا عن دلالته لهم إلى طريق الإيمان والصَّلاح كونها أعزَّ السُّبلِ الَّتي تبحثُ عنها المجتمعاتُ الإنسانيَّة؛ لِما تُحدثُهُ من تغييرٍ إيجابيٍّ في الحياة والمجتمع والأُمَّة.

أثرُ الإيمانِ على المجتمعاتِ الإنسانيَّةِ كبيرٌ جدًّا

غرضُ تقديم ﴿عَلَيۡهِ﴾ على المفعول به:

الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾ في قوله: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ أفاد تخصيص القول إشارةً إلى الإيمان بالله، وما ينتج عنه من تقوى لله وطاعة للرَّسول، بل ينتج عنه تغيُّرٌ شاملٌ للإنسان، ناتج ذلك عن تغيُّرِ القناعات والأفكار.

الإيمانُ بالله تغييرٌ شاملٌ للإنسان

معنى ﴿مِنۡ﴾ ودلالتها في: ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾:

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ زائدةٌ لتوكيد النَّفي؛ مبالغةً في انتفاءِ أيِّ أجرٍ.

فائدةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿أَجۡرٍۖ﴾ مادَّةً وصيغةً:

خـيرُ العـمـل ما كان ابتغاء وجه الـلـه احـتـسابًا للأجر منه

قوله: ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾ دلَّ على أنَّ ما يُقدِّمه الرَّسول لقومه هو أعظمُ شيءٍ في الوُجود، وفي الآية معنى الحاضرِ والمستقبل، فهو ﷺ لم يخبرهم بالرِّسالة ابتغاءَ طلب الأجر، وإنّما صرَّح بأنَّ أجره على الله، ثمَّ ورث ذلك الأمر العلماء والدُّعاةُ في كثير ممّا يبذلون من الجُهدِ ابتغاءَ مرضاته سبحانه، و﴿أَجۡرٍۖ﴾: الكراء على العمل، وهو الأجر والأجرة، وكان الخليل يقول: الأجر جزاء العمل، والفعل: أَجَرَ[1].

بلاغةُ أسلوب القصر:

قـلـبُ الـمـفـهـومِ الـذي يـتـصـوَّرُهُ المُخاطَب

قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، في الآية قصرٌ بالنَّفي والاستثناء، فقصرُ الأجرِ على ربِّ العالمين، وهو قصرُ قلبٍ؛ إذِ اعتقد المخاطَب عكس الحُكم الذي تُثبته، فقد قلبَ المفهومَ الذي يتصوَّره أهل الضَّلال أنَّ المتحدِّث يريد منهم أجرًا، أو رياسة بينهم، فقال: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

تصديرُ القَصَصِ بـ: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ﴾:

الأجرُ على دعوةِ النّاس للإيمان ليس لـه أجـرٌ إلّا الجنَّةَ خالدًا فيها

تصديرُ القَصَصِ بهذه العبارة فيها دلالةٌ على أنَّ البعثة مقصورةٌ على الدُّعاء إلى معرفة الحقِّ والطّاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه، ويُبعده عن عقابه، وكأنَّ الأنبياءَ مُتَّفقون على ذلك، وإن اختلفوا في بعض التَّفاريع مُبرَّئينَ عن المَطامِع الدَّنيئة والأغراض الدُّنيويَّة[2].

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالتها في ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

ضـمـانُ استحصال الأجر من ربِّ العالمين

تفيد (على) الاستعلاء، كما قال سيبويه: "أمّا (على)؛ فاستعلاءُ الشَّيءِ"[3]، وفي الآية: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فمعنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بيانٌ لتمكُّنه من استحصال الأجر كاملًا من الله تعالى، ولو كان الأجرُ على النّاس؛ لما استحصل، فبيَّن أنَّ أجرَهُ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 145.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 1/ 62.
(3) سيبويه، الكتاب: 2/ 310.

مضمونٌ مستحصل بأضعاف مضاعفة، وعلى العموم يمكن أن يكونَ في الآية تضمينٌ؛ إذ المعنى: من ربِّ العالمين، فالأجرُ يكون من الله سبحانه، فضمَّن ﴿عَلَىٰ﴾ معنى (من)؛ ليدلَّ على قضيَّتين: الأولى: أنَّ الله تكفَّل وضَمِنَ للرَّسول أجره، وهذا معنى ﴿عَلَىٰ﴾، والثّاني: أنَّ أجره قادمٌ من عند الله سبحانه، وهذا معنى (من).

إيثارُ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّة ودلالته:

ما جاء به الأنبياء من الهداية هو أعظمُ ما يمكن أن يناله إنسانٌ في الحياة

إيثارُ التَّعبيرِ بالرُّبوبيَّة لمناسبة ذِكْر الأجر على الأعمال، فالرَّبُّ هو الخالق والرَّزّاق، وهو المُتكفِّل بأجر النّاس على أعمالهم، وما أجرُ الرَّسول أو الدّاعي إلى الإيمان إلّا الجنَّةُ خالدًا فيها، وما جاء به الأنبياء من هداية النّاس إلى الإيمان والتَّوحيد، ونبذ الشِّرك والطُّغيان: هو أعظمُ ما يمكن أن يناله إنسان في الحياة.

سرُّ إضافة الرَّبِّ إلى لفظ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

الله خالق العالمين ومُربّيهم

في قوله: ﴿عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أُضيف الرَّبُّ إلى لفظ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، بمعنى: أنَّه خالقهم ورازقهم ومُربّيهم ومُقدِّر أمورهم بما يُحدث الانسجام الكونيَّ في العلاقات بين المخلوقات من الأحياء والجوامد.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرَّسول والنَّبي:

الرَّسول مبعوث برسالة، والنَّبي دون رسالة

الفرقُ بين النَّبيِّ والرَّسول في الإسلام: أنَّ الرَّسول بعثه الله برسالة وشرعٍ جديد، أمّا النَّبيُّ: فهو الذي نَزَلَ عليه الوحي من الله، ليدعو النّاس إلى عبادة الله على شريعة نبيٍّ سابق، فقوله في الآية: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، دلَّ على تكذيب الرِّسالات السَّماويَّة، التي أوحاها الله إلى الرُّسل؛ لأنَّها كُلَّها دعوتها واحدة إلى الإيمان بالله وحده، وتقوى الله وطاعة الرَّسول فيما أمر، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، وليس العكس.

الأجر والمال:

الأجرُ: عِوَض العمل والانتفاع، أو ما يُعطَى مقابلَ شيءٍ، ويكون الأجرُ على قَدْر المشقَّة، أمّا المالُ؛ فهو العوضُ عن القيام بعمل يُعطي الأجير مالًا أو عوضًا مُتَّفقًا عليه، فالأجر قد يكون مالًا أو غيره.

الأجـرُ قـد يكون مالًا أو غيره

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»